3370 - أخبرنا محمد بن الحسن بن قتيبة قال : حدثنا محمد بن أبي السري قال : حدثنا عبد الرزاق قال : أخبرنا معمر عن الزهري قال : أخبرني عبد الرحمن بن كعب بن مالك Y عن أبيه قال : لم أتخلف عن النبي A في غزوة غزاها حتى كانت غزوة تبوك إلا بدر ولم يعاتب النبي A أحدا تخلف عن بدر إنما خرج النبي A يريد العير وخرجت قريش مغيثين لعيرهم فألتقوا على غير موعد كما قال ا ولعمري إن أشرف مشاهد رسول ا A في الناس لبدر وما أحب أني كنت شهدتها مكان بيعتي ليلة العقبة حين تواثقنا على الإسلام ولم أتخلف بعد عن النبي A في غزوة غزاها حتى كانت غزوة تبوك وهي آخر غزوة غزاها آذن النبي A [الناس] بالرحيل وأراد أن يتأهبوا أهبة غزوهم وذلك حين طاب الظلال وطابت الثمار وكان قلما أراد غزوة إلا ورى غيرها وكان يقول : (الحرب خدعة) فأراد النبي A في غزوة تبوك أن يتأهب الناس أهبته وأنا أيسر ما كنت قد جمعت راحلتين لي فلم أزال كذلك حتى قام النبي A غاديا بالغداة وذلك يوم الخميس ـ وكان يحب أن يخرج يوم الخميس ـ فأصبح غاديا فقلت : أنطلق إلى السوق وأشتري جهازي ثم ألحق بها فأنطلقت إلى السوق من الغد فعسر علي بعض شأني فرجعت فقلت : أرجع غدا إن شاء ا فألحق بهم فعسر علي بعض شأني أيضا فلم أزل كذلك حتى لبس بي الذنب وتخلفت عن النبي A فجعلت أمشي في الأسواق وأطراف المدنية فيحزنني أن أرى أحدا تخلف عن رسول ا A إلا رجلا مغموصا عليه في النفاق وكان ليس أحد تخلف إلا أرى ذلك سيخفى له وكان الناس كثيرا لا يجمعهم ديوان وكان جميع من تخلف عن النبي A بضعة وثمانين رجلا .

ولم يذكرني النبي A حتى بلغ تبوكا فلما بلغ تبوكا قال : (ما فعل كعب بن مالك) ؟ فقال رجل من قومي : خلفه يارسول ا براده والنظر في عطفيه فقال معاذ بن جبل : بئس ما قلت وا يا نبي ا ما نعلم إلا خيرا قال : فبينا هم كذلك إذا رجل يزول به السراب فقال النبي A : (كن أبا خيثمة) فإذا هو أبو خيثمة فلما قضى رسول ا A غزوة تبوك وقفل ودنا من المدينة جعلت أتذكر ماذا أخرج به من سخط النبي A وأستعين على ذلك بكل ذي رأي من أهل بيتي حتى إذا قيل : النبي A مصبحكم بالغداة راح عني الباطل وعرفت أني لا أنجو إلا بالصدق فدخل النبي A ضحى فصلى في المسجد ركعتين ـ وكان إذا قدم من سفر فعل ذلك : دخل المسجد فصلى فيه ركعتين ثم جلس ـ فجعل يأتيه من تخلف فيحلفون له ويعتذرون إليه فيستخفر لهم ويقبل علانيتهم ويكل سرائرهم إلى ا فدخلت المسجد فإذا هو جالس فلما رآني تبسم تبسم المغضب فجئت فجلست بين يديه فقال رسول ا A : (ألم تكن ابتعت ظهرا) ؟ قلت : بلى يا

نبي الله فقال (ما خلفك عني) ؟ فقلت : والله لو بين يدي أحد من الناس غيرك جلست لخرجت من سخطه علي بغدر ولقد أوتيت جدلا ولكني قد علمت ـ يا نبي الله ـ أني إن حدثتك اليوم بقول تجد علي فيه وهو حق فإني أرجو فيه عقبى الله وإن حدثتك اليوم بحديث ترضى عني فيه وهو كذب أوشك أن يطلعك الله علي والله يا نبي الله ما كنت قط أيسر ولا أخف حاذا مني حيث تخلفت عليك فقال النبي A : (أما هذا فقد صدقتكم الحديث قم حتى يقضي الله فيك) .

فقمت فثار على أثري ناس من قومي يؤنبونني فقالوا : والله ما نعلمك أذنبت ذنبا قط قبل هذا فهلا أعتذرت إلى رسول الله A بعذر يرضاه عنك فيه وكان أستغفار رسول الله A سيأتي من وراء ذلك ولم تقف موقفا لا ندري ماذا يقضي لك فيه فلم يزالوا يؤنبونني حتى هممت أن أرجع فأكذب نفسي فقلت : هل قال هذا القول أحد غيري ؟ قالوا : نعم قاله هلال بن أمية و مرارة بن ربيعة فذكروا رجلين صالحين شهدا بدرا لي فيهما أسوة فقلت : والله لا أرجع إليه في هذا أبدا ولا أكذب نفسي .

ونهى النبي A عن كلامنا ايها الثلاثة فجعلت أخرج غلى السوق ولا يكلمني أحد وتنكر لنا الناس حتى ما هم بالذين نعرف وتنكر لنا الحيطان حتى ما هي بالحيطان التي نعرف وتنكرت لنا الأرض حتى ما هي بالأرض التي نعرف وكنت أقوى أصحابي فكنت أخرج فأطوف في السواق فآتي المسجد وآتي النبي A فأسلم عليه وأقول : هل حرك شفتيه بالسلام فإذا قمت أصلي إلى سارية وأقبلت على صلاتي نظر إلي النبي A بمؤخر عينيه وإذا نظرت إليه أعرض عني واشتكى صاحباي فجعلا يبكيان الليل والنهار ولا يطلعان رؤوسهما .

قال : فبينا أنا أطوف في الأسواق إذا رجل نصراني قد جاء بطعام له يبيعه يقول : من يدل على كعب بن مالك فطفق الناس يشيرون له إلي فأتاني وأتى بصحيفة من ملك غسان فإذا فيها : أما بعد فإنه بلغني أن صاحبك قد جفاك وأقصاك ولست بدار هوان ولا مضيعة فألحق بنا نواسك فقلت : هذا أيضا من البلاء فسجرت لها التنور فأحرقتها فيه .

فلما مضت أربعون ليلة إذا رسول من النبي A قد أتاني فقال : اعتزل امرأتك فقلت : أطلقها ؟ قال : لا ولكن لا تقربها فجاءت امرأة هلال بن أمية فقالت : يا نبي الله إن هلال بن أمية شيخ ضعيف فهل تأذن لي أن أخدمه قال : (نعم ولكن لا يقربنك) قالت : يا نبي الله ما به حركة لشيء ما زال متكئا يبكي الليل والنهار مذ كان من أمره ما كان .

قال كعب : فلما طال علي البلاء اقتحمت على أبي قتادة حائطه ـ وهو ابن عمي ـ فسلمت عليه فلم يرد علي فقلت : أنشدك الله يا أبا قتادة أتعلم أني الله ورسوله ؟ فسكت فقلت : أنشدك الله يا أبا قتادة أتعلم أني أحب الله ورسوله ؟ فسكت فقلت : أنشدك الله يا ابا قتادة أتعلم أني أحب الله ورسوله فقال : الله ورسوله أعلم قال : فلم املك نفسي ان بكيت ثم اقتحمت الحائط خارجاص حتى إذا مضت خمسون ليلة من حين نهى النبي A عن كلامنا صليت على ظهر بيت

لنا صلا الفجر وأنا في المنزلة التي قال ا : قد ضاقت علينا الأرض بما رحبت وضاقت علينا أنفسنا إذ سمعت نداء من ذروة سلع أن أبشر يا كعب بن مالك فخرجت ساجدا وعرفت أن ا قد جاءنا بالفرج ثم جاء رجل يركض على فرس يبشرني فكان الصوت أسرع من فرسه فأعطيته ثوبي بشارة ولبست ثوبين آخرين .

وكانت توبتنا نزلت على النبي A ثلث الليل فقالت أم سلمة : يا نبي ا ألا نبشر كعب بن مالك فقال : (إذا يحطمكم الناس ويمنعونكم النوم سائر الليلة) .

قال : وكانت أم سلمة محسنة في شأني تخبرني بأمري فانطلقت إلى النبي A فإذا هو جالس في المجسد وحوله المسلمون وهو يستنير كاستنار القمر وكان إذا سر بالأمر استنار فجئت فجلست بين يديه فقال : (يا كعب بن مالك أبشر بخير يوم أتى عليك منذ ولدتك امك) قال : فقلت : يا نبي ا أمن عند ا ام من عندك ؟ قال : (بل من عند ا) ثم تلا عليهم : { لقد تاب ا على النبي والمهاجرين والأنصار } حتى بلغ { هو التواب الرحيم } قال : وفينا نزلت { اتقوا ا وكونوا مع الصادقين } قال : فقلت : يا نبي ا إن من توبتي أني لا أحدث إلا صدقا وأن أنخلع من مالي كله صدقة إلى ا وإلى رسوله A فقال (أمسك عليك بعض مالك فهو خير لك) قال : فقلت : فإني أمسك سهمي الذي بخيبر قال : فما أنعم ا علي من نعمة بعد الإسلام اعظم في نفسي من صدقي رسول ا A حين صدقته أنا وصاحباي أن لا نكون كذبنا فهلكنا كما هلكوا وما تعمدت لكذبة بعد وإني لأرجو أن يحفظني ا فيما بقي .

قال الزهري : فهذا ما أنتهى إلينا من حديث كعب بن مالك K حديث صحيح